

العيش في أتون الشارع حتى النهاية

الحراك الجزائري

عام طويل من التغيير المتردد



● عام من الحراك يكشف فيه الجزائريون أن من كانوا يطلون عليهم من شبابيك الإعلام والقصور والمباني والوزارات والكراسي الساخنة الفاخرة، حسبما يقولون، ما هم إلا عصابة امتهنت الفساد والنهب والسرقة.

● الرئيس عبدالمجيد تبون يؤكد للجزائريين أن الحراك السلمي يمثل إرادة الشعب التي لا تقهر، بينما يتعهد اللواء سعيد شنقريحة رئيس أركان الجيش الجزائري بلسانه بالا تراق أي قطرة دم خلال مسيرات الحراك مهما كانت الظروف.

أبو بكر زمال

كاتب جزائري



في مشهد أريد له أن يكون حزينا ومؤثرا نقل عبر الكثير من القنوات التلفزيونية وغيرها من وسائل التواصل، تفرقت الدموع في عيون الوزير الأول عبدالعزيز جراد وهو يشاهد في لقاء عالي المستوى جمع الأركان الذين كلفوا من الرئيس إلى الوزراء إلى ولاية الجمهورية، حلقة جديدة متجددة ومعروفة من مسلسل طويل وعريض مركب من عدد من التحقيقات الساطعة عن الوضع السياسي البائس الذي تعيشه الكثير العائلات في القرى النائية داخل الجزائر. مشهد يشكل لحظة خاطفة لما ستكون عليه سياسة الوجود والام وسهر الليالي والأرق الذي سيعيشه أي مسؤول ساس في الدولة من الآن، كما قال الرئيس عبدالمجيد تبون، وهو يقر وينفذ من أجل رهاية المواطنين الأعمى الذين خرجوا عن بكرة أبيهم يوم 22 من فبراير من العام الماضي، مفككين أغلال الخوف والقهر والظلم والاستبداد والحقرة التي سيطرت على الجزائر طيلة عقود من الحكم، عاث فيه من عاث، وانفق فيه من انفق، وصعد فيه من صعد، وسقط فيه من سقط، ومات فيه من مات، وهو يحلم بأبسط سبل العيش، وظيفة محترمة، سكن لائق وراحة أسبوعية يستمتع بها مع عائلته في الشواطئ والغابات والمساحات الخضراء التي تمتد على مسافة تقارب الـ 2.381.741 كيلومتر مربع.

الحراك يبدو بعد عام على قيامته المفاجئة ملولبا وتائها، كاسحا ومتخما بالانتظار. قليل النفوذ عند أهل الحكم والقرار، بقي معلقا على حبال التوتر والعناد والممانعات

شوارع أصبحت كل ثلاثاء وجمعة تتسع لكل شيء ويحوم حولها كل شيء، ملاذات، ومسكنات، ومتنفسات، ومسرات، ومواعيد للغرام والعشق والمصاحبات، أسواق تجارية عاجلة يباع فيها كل شيء؛ ماء، حلويات، مكسرات، عصائر، زلابية، قبعات، اعلام، شارات واكواب وشالات وسجائر وولاعات ومحاجب ساخنة.

محلات مفتوحة وهي التي كانت قبل عام تغلق بسبب العطلة الأسبوعية المصادفة ليوم الأسمس، مساجد مملئة عن آخرها، ومصلون يتوضؤون بمياه معدنية ويجلسون في أي مكان لأداء صلاة الجمعة، يفرشون الكراتين والأكياس في انتظار الانتهاء من الموعد المقدس للبدء في غزو الشوارع حيث ينتظرهم آخرون ممن جنت بهم السبل ولم يعد الإيمان يعمر قلوبهم. هؤلاء يستمدون القوة من هؤلاء. المؤمن مع العاصي، المتحجبة مع المتبرجة، الأخر مع الأخر، بنت الجار، الفقير مع الغني، المتعلم مع الأمي، المتعصب مع المنفتح، القوي لا يأكل الضعيف في شارع الحراك.

الثلاثة شوارع رئيسية أصبحت اليوم أيقونات للحراك كانت في ليل الاستعمار تحمل أسماء مؤرخين "جيل ميشالي" التسمية القديمة لشارع ديدوش مراد خرجت الملايين من شوارع لطالما كانت خزان الاحتفالات الرياضية، خاصة من أنصار كرة القدم والعصيان والإرهاب والسرقات والإهمال والمحلات المتكاثرة كالفطر وأرصفة مفتوحة كالببوت للمتسردن والمسكاري والموزين والمتسولين، يأتونها باكرا من أقاصي الأمكنة وهوامش الحواضر والتجمعات السكنية المكتظة وبيوت الصفيح، عليهم يقتنصون من جيوب المارة العابرين في لحظة عابرة دراهم معدودة تقيهم قز الشتاء وحز الصيف.

ملايين في الشوارع

الثلاثة شوارع رئيسية أصبحت اليوم أيقونات للحراك كانت في ليل الاستعمار تحمل أسماء مؤرخين "جيل ميشالي" التسمية القديمة لشارع ديدوش مراد



المعبر يعنف وقوة وجمال خالص ليس عندهم فقط بل عن كل من قال لا لأبد. يبدو الحراك بعد عام من قيامته المفاجئة ملولبا وتائها وكاسحا ومتخما بالانتظار. أصبح قليل النفوذ عند أهل الحكم والقرار، بقي معلقا على حبال التوتر والعناد والممانعات. وإلى الآن رغم الوجود والأمان والانداءات المتعاقبة التي صدحت من هنا وهناك الموجة للحراك المتمنية عليه أن يوسع الخاطر لجبر المكسور وترميم المواقع المتضررة المنهكة من طرف العصابة المسجونة.

يحدث ذلك رغم وفاة القائد صالح الشخصية العسكرية المحيرة التي لعبت الدور الأخطر في هذه المرحلة، ورغم وجود رئيس منتخب يعد ويكرز الوعود تلو الوعود، وحكومة في الظاهر غير مغضوب عليها، وعسكر منسحب بذكاء من المشهد، وسجون ما زالت تتلقى بصد رحب مسؤولي النظام السابق المتورطين في قضايا فساد، حيث أطلق سراح بعض نشطاء الحراك ممن حملوا الاعلام الأمازيغية ومنم نقوهوا بأقوال أو كتبوا ما يتعارض مع المصلحة العليا للبلاد، وحيث سقط في هذه السنة من اعتقد أنه محمي إليها في الحفرة التي أوقع فيها غيره، وحيث ردّ الجميل لوجوه النظام القديمة وجد لها الموعد مرة أخرى مع الكرسي الوفير، رغم كل هذا لم يهدأ بال الحراك، ولا يعرف من بإمكانه أن يخلي الشوارع من سطوة ناسه وساكنته.

يريد الحراك سماعه إطلاقا وبتاتا. قال الرئيس تبون إن الحراك الشعبي السلمي يمثل إرادة الشعب شنقريحة رئيس أركان الجيش الجزائري بلسانه المبين بالا تراق أي قطرة دم خلال مسيرات الحراك الشعبي مهما كانت الظروف، وأصفا إياه بأنه عزز رابطة "جيش - أمة". هل ستكون هذه الكلمات حامية للحراك من الزوبان والذبح والتقتت والتخريب والاختراق والتجديج والتعصب؟ أم أنها فقط كلمات تستنقظ

في مناسبات ثم تركن للصلمت والنسيان؟ فهل يتوجب على الشارع بعد عامه هذا أن ينهض من التدفق كل ثلاثاء وجمعة، ويخرج من المناهات والانفاق، ويهتف أكثر بتشكيل مستقبل بلد يقف على شفا حفرة من الصعوبات والمشاكل والضيق والأفق المضرب والكثير من المطبات التي برزت وستبرز كلما مر عام تلو عام. يمتلك الحراك الشارع، وكان ينبغي له في ذكراه الأولى أن يستمر وما هو مستمر اليوم.

كالروائح من هنا وهناك، من أفواه خبثت السياسة وأخرى احترقت المتابعة الحثيثة للفتنات الإخبارية وما هي تلقي بها على عجل وسط المتقنين حولها، وأخرى رائدة في بث المعلومات الصحيحة كانت أم خاطئة؛ المهم أنها تفي بالغرض وتحسن المزاج وترضي الغرور وتكفي لإرواء النهم ومعرفة عصير التفاصيل وما يقتر في مخاير القرار، "أنظر أضي أنا عندي المعلومة الأكيده"، رموز يقال إنها تبحت عن القمة والسعادة والحضور الطاعي وسط العشرات من الوجوه التي تدور وتدور في الشوارع.

تشاهدهم مرة في العمر ثم مرة ثانية وبعدها يختفون في لمح البصر. شارع اليوم وأناسه غيرهم في يوم آخر أو كانهم هم أنفسهم بسحنة مختلفة ولون آخر وجنس آخر. سيكون آخرون اليوم بعد عامهم ذك وحضورهم هناك، سيلج البسيط الذي لا يعرف أحد ولا يعرف أحد منهم، يراقب، وينصت لهذا الهرج والمرج ويحاول بعد هذا اليوم أن يعي لم يخرج كل يوم جمعة.

الرئيس والعسكر والحراك

كل حراك له أغنياته "الثلاثائية" و"الجمعية"، أغان متفق أنها ليست عفوية بل هي من إنتاج وإبداع وإعداد عباقرة الملاعب الملاعين مشجعي كرة القدم أحب من أحب وكره من كره. لم يقدر لا المنقذ ولا الشاعر ولا طبقات الساسة ولا مناضلي آخر المطاف ولا وجوه البلاطوات أن يصوغوا حروفا أو كلمات بديعة مكثفة تلخص الوضع وتضرب في عمق ما حل بالبلاد بعد سنين عجاف، وتلون الحزن والمعاناة، مثلما فعله هؤلاء الذين يسبهون وهم يلتقطون المعنى المهمش المكبوت الضاري

